

الصين والنظام السوري: بين التعاون والتحالف والمخاطر



سمير العبد الله

»

قامت السياسة الصينية في سوريا بعد 2011 على مبدأ "عدو عدوبي صديقي"، لذلك ومنذ بداية الثورة السورية وقفت الصين لجانب النظام السوري، وتبنت وجهة نظره فيما يجري بالبلاد، حتى أن وزير الخارجية الصيني دعا أبناء زيارته دمشق سنة 2021 إلى "التخلّي عن وهم تغيير النظام".

«

يمكن وصف علاقات النظام السوري بالصين على أنها جيدة منذ ما قبل 2011، حيث لعبت العلاقة بين الحزب الشيوعي الصيني وحزب البعث العربي الاشتراكي في سوريا دوراً كبيراً في تطوير العلاقة بين النظتين، واستغل النظام السوري الرغبة الصينية بتطوير علاقتها مع الشرق الأوسط عموماً، في إقامة علاقة قوية معها، وخاصة أن السياسة الصينية في المنطقة في الفترة الأخيرة ليست ذات مسار واضح من الناحية السياسية بل هي سياسة براغماتية تقوم على ما يخدم المصالح الصينية وخاصة الاقتصادية، حيث

موقف الصين من الثورة السورية

قامت السياسة الصينية في سوريا بعد 2011 على مبدأ "عدو عدو صديقي"، لذلك ومنذ بداية الثورة السورية وقفت الصين لجانب النظام السوري، وتبنت وجهة نظره فيما يجري بالبلاد، حتى أن وزير الخارجية الصيني دعا أثناء زيارته دمشق سنة 2021 إلى "التخلّي عن وهم تغيير النظام".

تجلى التأييد الصيني للنظام السوري بشكل واضح في مجلس الأمن الدولي، فقد عارضت الصين في أكثر من مرة مشاريع القرارات المتعلقة بسوريا، حتى أنها استخدمت حق النقض "الفيتو" 10 مرات لصالح النظام السوري من أصل 16 مرة استخدمت خلاله الصين الفيتو طوال تاريخها، وكان الموقف الصيني في بعض الأحيان مشجعاً للموقف الروسي لاستخدام الفيتو ضد أي قرار يدين النظام، ووصل الأمر بالصين لدرجة أنها أخذت تعارض بعض مشاريع القرارات المتعلقة بالمساعدات الإنسانية لسوريا، وتبرر الصين ذلك بأن آلية إيصال المساعدات الإنسانية عبر الحدود مثيرة للجدل، وأنه لابد من تعزيز رقابة الأمم المتحدة عليها.

في آذار/مارس 2016 عين الرئيس الصيني مبعوثاً خاصاً لسوريا وهو تطور مهم في السياسة الصينية بالمنطقة، حيث تولى مهمة التنسيق مع القوات الروسية والمليشيات الإيرانية وقوات النظام السوري للقضاء على الحزب الإسلامي التركستاني الذي يقاتل في سوريا.

الصيني، ووصل التبادل التجاري بين سوريا والصين بين عامي 2010-2012 إلى حوالي 3.5 مليار دولار، لكنه بدأ ينخفض بدءاً من عام 2014 إلى ما يقارب 210 مليون دولار واستمر بالانخفاض بعد ذلك.

أنها تقيم علاقات مع أغلب دول المنطقة حتى مع الدول المتعادية مثل إيران والسعودية وإسرائيل على سبيل المثال.

الاقتصاد هو الأساس الذي قامت عليه علاقة الصين مع النظام



الدعم العسكري الصيني للنظام السوري

من أهم الأسباب التي دفعت الصين لدعم النظام عسكرياً، ولو بشكل محدود، هو وجود المقاتلين الأويغور في سوريا، والذين وصل عددهم لقرابة 16 ألف مقاتل، بالإضافة لعوائل هؤلاء المقاتلين، وكانوا قد بدأ فدومهم إلى سوريا عام 2014 للمشاركة بالقتال ضد النظام السوري، وأقاموا مجتمع صغير لهم في شمال غرب سوريا.

مسألة المقاتلين الأويغور هذه استغلها النظام لكسب الدعم الصيني سياسياً وعسكرياً، وخاصة أنهم يشكلون معضلة كبيرة بالنسبة للصين، وتريد الصين محاربتهم والقضاء عليهم في سوريا، لأنها تخشى من خطرهم في حال عودتهم للصين بعد اكتسابهم خبرة قتالية عالية، مما قد يشكل مصدر خطر، لذلك بنت الصين تعاوناً أمنياً واستخباراتياً وعسكرياً مع النظام.

مازال النشاط الصيني العسكري في سوريا حتى الآن رمزاً ومحدوداً، على الرغم من طلب بثينة شعبان مستشارة بشار الأسد سنة 2017 من الصين التدخل بسوريا عسكرياً لقتال المقاتلين الأويغور، فقد أرسلت الصين بعض المستشارين العسكريين، وزودت النظام ببعض الأسلحة الحديثة، وزار وفد عسكري صيني بداية 2021 منطقة ادلب، وذلك مباشرة بعد شطب الادارة الأمريكية الحزب التركستاني الصيني من قوائم الإرهاب الأمريكية، وأكتملت الصين حتى الآن على ما يبدو بالمستشارين العسكريين، ولم ترسل قوات



الدعم الاقتصادي الصيني لسوريا

وقع التفاهم بين الصين والنظام السوري على مذكرة تفاهم خاصة بالتعاون في 12 كانون الثاني / يناير 2022 ضمن مبادرة الحزام والطريق، وبذلك التوقيع انضمت سوريا لتلك المبادرة، التي تهدف لربط الصين بالعالم وإيصال بضائعها بأسهل وأسرع الطرق، بالاعتماد على إنشاء بنية تحتية في 68 بلداً، وقام النظام السوري بعرض العديد من المشاريع على الصين نالت موافقتها البدئية، مثل خطوط سكة حديد يربط بين طرطوس والحدود العراقية، وكذلك مشاريع طرق سريعة تربط جنوب سوريا بشمالها، ومحطات لتوليد الكهرباء، والتنقيب عن النفط والغاز، ومناطق للتجارة الحرة الصينية في سوريا.

عسكرية كما تم الإشاعة حول ذلك، وكذلك تم عقد اجتماع عسكري صيني إيراني في مطار التيفور شرق حمص مطلع 2022، وطلبت الصين من الميليشيات الإيرانية استهداف المقاتلين الأويغور في شمال غرب سوريا، مقابل تقديم خبرات لتطوير ورشات تجميع الطائرات دون طيار التي أنشأتها إيران في سوريا، وجاء هذا اللقاء بعد عرض عسكري للحزب الإسلامي التركستاني في شمال سوريا، وكان فيه تهديد واضح للصين، وتم خلال العرض استخدام أسلحة حديثة.

يبدو أن الصين لا ترغب حتى الآن في أن تكون طرفاً عسكرياً في الصراع بسوريا، حفاظاً على علاقاتها الاقتصادية والتجارية مع أغلب دول المنطقة، ولأن السياسة الصينية مازالت تعارض التدخلات العسكرية الصينية المباشرة في الخارج.

الشركات الصينية التي تريد القيام باستثمارات هناك، فهي تريد إرسال رسالة للولايات المتحدة بأن شركاتها قادرة على الدخول للسوق السورية، لكن تواجد القوات الأمريكية في الشرق السوري وخاصة قاعدة التنف على الحدود الأردنية العراقية السورية يشكل معوقاً أساسياً في وجه أي تعاون بين الصين والنظام السوري، فهذه القوات تهدد أي خطوط مواصلات ترغب الصين بمدها عبر سوريا للبحر المتوسط.

أما المسائل الأخرى المرتبطة بسجل النظام السوري في ملف حقوق الإنسان فهي ليست موضع اهتمام صيني كبير، وخاصة أن الصين نفسها من الدول المتهمة بانتهاك هذا الملف، وهي تفضل التعامل مع الدول الديكتاتورية أكثر من الدول الديمقراطية.

من المحتمل حتى الآن أن يكون للصين دوراً طفيفاً في مسألة إعادة الإعمار في سوريا في ظل وجود المنافس الروسي والإيراني من جهة، ولكون سوريا ليست ذات أهمية كبيرة للجانب الصيني من ناحية أخرى وخاصة أن المقدرات والثروات فيها محدودة، وخاصة بمجال الطاقة، لكن من المحتمل أن تركز الصين في الفترة المقبلة على التعاون الأمني مع النظام السوري بشكل أساس، وذلك للتخلص من التهديد الذي يمثله الأويغور والحزب التركستاني الإسلامي في سوريا. ■

سمير العبدالله: باحث وأكاديمي من سوريا، حاصل على الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر يعمل حالياً باحثاً في مركز حرمون للدراسات المعاصرة في إسطنبول.

وهنالك تنسيق عالي المستوى بين الصين وروسيا، وهذا لن يتغير إلا إذا وصل النفوذ الصيني في سوريا لنقطة معينة قد يشكل مصدر قلق لروسيا، وهذا من المستبعد في الفترة القريبة.

سياسات الفواعل البارزين تجاه العلاقات السورية الصينية

تلعب إيران دوراً كبيراً في تطوير العلاقات بين الصين والنظام السوري، لأنها ترغب بأن تهيمن كذلك من خلال المشاريع التي ترغب الصين بإقامتها في سوريا، وخاصة طرق المواصلات التي ستمر بإيران وعبر العراق إلى سوريا، وكذلك للحد من الهيمنة الروسية على قرار النظام السوري، فوجود داعم للنظام الصيني يمكن أن يمنجه بعض الحرية ببعض القرارات.

لكن سوريا لا تشكل مطمع للصين ولا استثمارات الصينية حالياً في ظل انسداد أفق الحل السياسي بسوريا، فالصين أذكى من أن تقوم بأي استثمارات كبيرة في سوريا بدون سلام وحل سياسي دائم، وكذلك توافر ظروف أمنية مناسبة، وكذلك الصين غير متأكدة من قدرة النظام السوري على تسديد القروض التي يمكن أن تقدمها الصين له، فالجو السياسي والاستثماري في سوريا ليس مناسباً لا حالياً، ولا في الأفق القريب أيضاً.

أما عن الموقف الأمريكي من التمدد الصيني لسوريا، فأمريكا تراقب هذا التمدد وتنتظر له بعين الريبة، وعلى الرغم من رغبة الصين بتحدي الولايات المتحدة في سوريا، إلا أنها تخشى من العقوبات الأمريكية على

وبموجب اتفاق جرى بين الصين وسوريا سنة 2022 سوف تزود الصين النظام بمعدات اتصال. أما بالنسبة للدعم الإنساني الذي قدمته الصين للنظام فهو لم يتجاوز حتى الآن عدة ملايين من الدولارات، كانت على شكل مساعدات غذائية وطبية تم تقديمها بشكل مباشر للنظام السوري، وتعهد الرئيس الصيني سنة 2021 بتقديم مزيد من الدعم لسوريا.

تكمن أهمية سوريا بالنسبة للصين في موقعها الجغرافي، لذلك ترغب بضمها لمبادرة الحزام والطريق، وتأمين طرق النقل عبر سوريا للبحر المتوسط، وكذلك ترغب في أن تكون سوريا لجانبها في بعض المنظمات الدولية التي سوريا والصين أعضاء بها، لذلك يبدو أن هناك رغبة صينية للمساهمة في إعادة اعمار سوريا، وأن يكون لها موطن قدم على ساحل المتوسط.

النظام السوري من جهته يرغب بأن تخفف علاقته مع الصين من تأثير العقوبات الاقتصادية عليه، وأن تساهم الشركات الصينية في إعادة الإعمار، وأن تقدم له الصين مزيد من المساعدات الإنسانية، كذلك يرغب بالاقتراب من الصين، وخاصة أن هذا الباب مغلق بوجهه من طرف الدول الغربية، فهو يرغب في كسب الصين كحليف له عسكرياً واقتصادياً، مستغلاً الخلافات الصينية الأمريكية، وكذلك ربما لموازنة الدور الروسي الذي هيمن على البلاد، ومع ذلك ليس من المتوقع أن تنافس الصين روسيا في سوريا، لأن التفاهمات بين البلدين أكبر منصالح الروسية والصينية في سوريا،